مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: **09** عدد: **01** السنة **2023** E-ISSN:2588-2325

حرفة النحاس بين الماضي والحاضر من منظور العائلة القسنطينية دراسة أنثروبولوجيا بزنقة النحاسين حي باردو قسنطينة

The copper craft between the past and the present from the perspective of the Constantinian family an anthropological study in Al Nahhasin Street Bardo neighborhood Constantine

هاشم فتيحة*، مخبر الجريمة والانحراف بين الثقافة والتمثلات الاجتماعية، جامعة لونيسي علي، البليدة 02، الجزائر ef.hachem@univ-blida2.dz
شيخي رشيد، جامعة لونيسي علي البليدة 02، الجزائر، chikhira26@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2023/03/18 تاريخ القبول: 2023/05/06 تاريخ الإرسال: 2023/06/30

ملخص:

تعتبر الصناعات التقليدية والحرف من ابز مدلولات الموروث الثقافي بشقيه المادي والمعنوي في كافة المجتمعات، فالتنوع والاختلاف فيها من حلي وزرابي ونسيج ومصنوعات نحاسية يصنع لوحات جمالية من خلال التظاهرات الثقافية والحرفية المخصصة لها. ان الصناعة النحاسية هي من اعرق الصناعات والحرف التي ميزت الكثير من البلدان العربية على غرار تونس المغرب والجزائر، فنجد حرفيها قد ابدعت انامليهم في صناعة تحف ومصنوعات نحاسية ذات نقوش وزخرفات نميز من خلالها ثقافة عن غيرها. ففي الجزائر تعتبر قسنطينة احد اهم المدن الفاعلة في هذا المجال، فحي باردو زنقة النحاسين كما يطلق عليه هو خير برهان على تداول هذه الحرفة وارثها جيلا بعد جيل حيث ان المصنوعات النحاسية تعتبر الى حين قريب من الزمن اهم المكونات الاساسية في البيوت القسنطينية سواء في جهاز العروس او في الأواني المنزلية الاساسية للاستعمال او تقدم كهدايا فيما بينهم او كذكرى للأجانب الذين يقصدون المدينة لهذا الغرض، ودراستنا ستقودنا الى ماضي الحرفة وموروث المدينة ومكانته للجميع.

الكلمات المفتاحية: الصناعة، الحرفة، النحاس، الهوية، الموروث.

* المؤلف المرسل

Abstract:

The traditional industries and crafts are among the most prominent meanings of the cultural heritage, both material and moral, in all societies. The diversity and difference in it, such as ornaments, carpets, weaving and copper artifacts, makes aesthetic paintings through cultural and craft demonstrations dedicated to them. The copper industry is one of the oldest industries and crafts that distinguished many Arab countries on Like Tunisia, Morocco and Algeria. We find that its artisans have excelled in making antiques and copper artifacts with inscriptions and ornaments, through which we distinguish one culture from others. In Algeria, Constantine is considered one of the most important cities active in this field. The neighborhood Bardo Al Nahhasin Alley as it is called is the best proof of the circulation of this craft and its inheritance from generation to generation, as copper works are considered until recently the most important components in the Constantinople houses Whether in the bridal apparatus or in household utensils It is essential for use or presented as gifts among themselves or as a souvenir for foreigners who come to the city for this purpose, And our study will lead us to the past of the craft and the heritage of the city and its position for all.

Keywords: industry, craft, copper, identity, heritage.

مقدمة:

يحظى قطاع الحرف والصناعات التقليدية باهتمام كبير من قبل المختصين واصحاب الدراسات ذات الصلة العلمية، هذا ما يجعله موضوعا ذو اهمية بالغة، لما له من ابعاد ثقافية وحضارية واجتماعية، تعكس صورة التراث الشعبي الجزائري وثقافته عامة والقسنطيني على وجه خاص، فهي الجسر الحضاري الذي ينقل موروثنا الثقافي عبر الاجيال، فكان لابد من الدعم والمحافظة على كل ما هو تقليدي واصيل للتمكين من حمايته من الزوال الذي اصبح شبحا يهدده ولعل حرفة النحاس من ابرز انواع الحرف والصناعات التقليدية في قسنطينة والتي عرفت بجمالية منتوجاتها وابداعات حرفيها من خلال تفننهم في صناعة اجمل التحف النحاسية بأشكال ورسوم تكتسي طابعا يحاكي حقبا وقصصا فنية متميزة، محافظينا فيها على تراث المنطقة وثقافتها.

فجاءت اشكالية الدراسة على النحو الاتي: ما واقع حرفة النحاس كصناعة تقليدية في قسنطينة؟

وللإجابة على هذه الاشكالية ارتأينا تقسيم دراستنا على النحو الاتي:

- تعريف الحرف والصناعات التقليدية.
- أنواع الحرف في نظر المشرع الجزائري.
- أهم الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر .
- حرفة النحاس في قسنطينة.
- واقع الحرفة في مدينة قسنطينة بين الواقع والمأمول (المعوقات والحلول).

أهداف الدراسة:

تهدف من خلال دراستنا هذه الى تسليط الضوء على مفهوم الحرف والصناعات التقليدية وانواعها واهم الحرف المعتمدة في الجزائر، انتقالا الى وصف حرفة النحاس في مدينة قسنطينة وتعقبها من خلال زنقة النحاسين المعروف بحي باردو العتيق، والذي نستطيع من جراءه ان نلامس كل ما تعلق بالصنعة سوآءا في حاضرها او ماضيها العريق، والكشف عن الاسباب والمعوقات التي ادت الى تراجع الحرفة بقسنطينة.

فكان المنهج المعتمد في دراستنا هو المنهج الانثروبولوجي الوصفي التحليلي حيث عرف على انه اكثر المناهج شيوعا وانتشارا واستخداما في البحوث الاجتماعية, ويركز على ما هو كائن في وصفه وتفسيره للظاهرة موضوع الدراسة و يعتبر هذا المنهج عملية جمع البيانات بنوعيها الكيفية والكمية حول الظاهرة محل الدراسة، من أجل تحليلها وتفسيرها لاستخلاص النتائج ومعرفة طبيعتها وخصائصها وتحديد العلاقة بين عناصرها، وبينها وبين الظواهر الأخرى والوصول إلى تعميمات. (سعيد، صفحة 109).

وكان اعتمادنا عليه كمطلب لطبيعة الدراسة الغرض منه هو توضيح اهم المفاهيم المتعلقة بالحرف التقليدية وانواعها كحرفة النحاس التي يمتهنها حرفيي قسنطينة، من خلال نقل صورة الحرفة باعتبارها موروث ثقافي للمدينة وجب الحفاظ عليه ضمن موروثات المدينة الثقافية والحضارية، حيث وظفناه في وصف الحرفة بالمدينة من خلال ما تناقلناه بمشاركتنا للحرفيين اعتمادا على ادوات وتقنيات كالتصوير الفوتوغرافي والتسجيل الصوتي وذلك للوقوف على واقع الحرفة والحرفيين.

1/- تعريف الحرف و الصناعات التقليدية:

هناك العديد من التعاريف الخاصة بالصناعة التقليدية والحرف، فنجد تعاريف خاصة بالموسوعات على اختلافها، ومنها تعاريف الهيئات والمنظمات العالمية التي لها علاقة بقطاع الصناعات التقليدية والحرف، فهي تختلف باختلاف اهدافها واستعمالاتها والتعدد في تعاريفها الا ان جوهرها واحد, وفيما يلي نذكر بعض التعاريف:

1-1/-موسوعة علم الانسان والمفاهيم الأنثروبولوجية :

عرفت الحرف والصناعات التقليدية على انها "هي الأعمال التي يزاولها الصانع مستخدمين في ذلك مهاراتهم اليدوية دون الاعتماد على الآلات ويتولى الصانع العمل اليدوي بنفسه أو بمعونة أحد أفراد عائلته أو عدد محدود من المساعدين". (شارلوت ، 2009، صفحة 118).

1-2/-تعريف منظمة اليونسكو:

قدمت منظمة الأمم المتحدة اليونسكو سنة 1997، تعريفا للصناعة التقليدية كما يلي:

تعتبر المنتوجات تقليدية إذا كانت مصنوعة من طرف الحرفيين يدويا، و/أو عن طريق مساعدة آلة يدوية أو حتى آلة ميكانيكية،بشرط أن تشكل المساهمة اليدوية للحرفي المركب الأكثر أهمية في المنتوج النهائي، تنتج هذه المواد بدون تحديد في الكمية، وباستعمال مواد أولية مستخرجة من موارد طبيعية دائمة، إن الطبيعة الخاصة للمنتوجات التقليدية، تتمخض من خصائصها المختلفة، والتي تجعلها ذات أهمية استعمالية، تجميلية، فنية، إبداعية وثقافية، ما يجعل المنتج التقليدي يجمع بين الناحية الاجتماعية والاقتصادية على حد سواء. (portail.unesco.or، 2007)

1-3/-ويعرفها المجلس العالمي للصناعة التقليدية:

اعطى المجلس العالمي اربع تقسيمات للصناعة التقليدية، وعرف كل مجموعة على حدى:

-الابداعات ذات الطابع الفني للحرفيين: وهي انشطة تتعلق بمواد منتجة لها محتوى ابداعي، وتستعمل تقنيات مهارات مرتفعة جدا.

-الفنون الشعبية والفلكلورية: وهي كل التعابير المستوحاة من التعابير المحلية والوطنية، والمواد الاستعمالية او التزيينية، والتي تعكس نظرة مشتركة للحياة، وتتطلب درجة عالية من الكفاءة والتقنيات اليدوية.

-الصناعة التقليدية ما قبل التصنيع: وهي ورشات لإنتاج المواد المستوحاة من التقاليد ومهارات الفنون الشعبية، ولكنها مصنوعة يدويا وبكميات كبيرة، وعندما تكثف هذه الطريقة الى حد الوصول الى تقسيم العمل، لا تعتبر آنذاك مواد للصناعة التقليدية، ولكن منتوجات مصنوعة بالسلسلة وتحمل ذوقا محليا موجهة للسوق الواسع.

-الانتاج الصناعي: وهو يخص كل نماذج الصناعات التقليدية او المواد المعاد انتاجها بواسطة الات اوتوماتيكية وبكميات كبيرة (شفيقة، 2002، صفحة 55)

1-4/- ولقد تم الاتفاق على مفهوم جزائري للصناعة التقليدية والحرف بصدور المرسوم96-01 المؤرخ في 10/01/ 1996 والمحدد للقواعد التي تحكم الصناعة التقليدية والحرف والنصوص التطبيقية لها، حيث نصت المادة 5 منه أن الصناعة التقليدية والحرف هي كل نشاط إنتاج أو إبداع أو تحويل أو ترميم فني أو صيانة أو تصليح أو أداء خدمة يطغى عليها العمل اليدوي وتمارس

بصفة رئيسية ودائمة، وفي شكل مستقر، ومتنقل أو معرضي، وبكيفية فردية أو ضمن تعاونية للصناعة التقليدية والحرف أو مقاولة للصناعة التقليدية والحرف (سعيد ف.، 2013، صفحة 53)

رغم الاختلاف والتباين في تعريف الحرف والصناعة التقليدية الا اننا نتفق على انها من صنع الايادي البشرية، وان المهارة والابداع تتجلى في كل منتوج ومصنوع حرفي يقوم به الانسان على مدار حقب متعاقبة من الزمن كل منها يحكي تاريخا وحضارة بأكملها، وبعد ماهية الحرف والصناعات التقليدية سنعرج الى انواعها، و اهمها في الجزائر.

2/- انواع الحرف في نظر المشرع الجزائري:

حيث قسمها المشرع الجزائري الى ثلاث انواع هي:

-1-2- الصناعة التقليدية والفنية: كل صنع يغلب عليه العمل اليدوي، ويستعين فيه الحرفي احيانا بالات لصنع اشياء نفعية و/او تزيينية ذات طابع تقليدي، وتكتسي طابعا فنيا يسمح بنقل مهارة عريقة، وتتميز الصناعة التقليدية الفنية بالأصالة والانفرادية والابداع.

2-2-.الصناعة التقليدية لانتاج المواد: كل صنع لمواد استهلاكية عادية، لاتكتسي طابعا فنيا خاصا، توجه للعائلات والصناعة والفلاحة.

3-2- الصناعة التقليدية للخدمات: مجمل النشاطات التي يمارسها الحرفي والتي تقدم خدمة خاصة بالصيانة او التصليح والترميم الفني (يحدد القواعد التي تحكم الصناعة التقليدية والحرف، 1996، الصفحات 5-4)

ان ما نراه من تنوع في الحرف والصناعات التقليدية ما هو الا تعبير واضح عن ما تحمله الدول في طياتها من موروث ثقافي وحضاري, فكل الشعوب تزخر بما يميزها عن غيرها، كذلك هو الحال مع الجزائر فهي تتمتع بجملة من المنتوجات الحرفية والتقليدية تجعل منها قبلة وواجهة سياحية من الطراز الاول، وسنعرض فيما يلي اهم المصنوعات الحرفية الجزائرية.

3- اهم الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر:

3-1- صناعة النحاس:

هي صناعة عريقة تعرفها الكثير من المدن الجزائرية، يعود أصلها الى الوجود العثماني في الأراضي الجزائرية، تتشابه وتختلف المنتوجات النحاسية من ولاية الى اخرى من حيث طبيعة المنتوجات وكذا النقوش والرموز المستعملة ومن أبرز المدن المشهورة بهذه الصناعة نجد الجزائر العاصمة وبالتحديد زنقة النحاسين بالقصبة العريقة المشهورة بصوت دق النحاس والمنتوجات النحاسية اللامعة في ضوء الشمس أبرزها: (البراد، ابريق الشاي، طبسي لعشاوات (طبق كسكس ذو غطاء مخروطي) البريك، الطاسة، المرجان، السنيوة، كما نجد قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري ومنتجاتها النحاسية الأصيلة مثل الاطباق النحاسية التي تدمج الرموز الزخرفية بشكل اكبر، المحبس،

القطار، المرش وهي أدوات تنظيف تعود الى القرون الماضية، بالإضافة الى بجاية وتلمسان التي تزاوج بين الطابع الأندلسي وتراث الموحدين ومن أشهر منتجاتها مساند الكتب والثريات والاطباق ومطرقة الباب الشهيرة بالإضافة الى بعض المنتوجات النحاسية من الأواني في غرداية(أواني للغلي وأطباق) وتندوف (قدر وأباريق)... (لعلاوي عمر و خليفي حسام ، 2021، الصفحات 1027-1044)

3-2- صناعة الجلود:

تتميز صناعة الجلود بارتباطها بمناطق تربية المواشي والتي تعتبر أساس المادة الاولية (الجلد) ويعود تاريخ هذه الصناعة الى عصور ما قبل التاريخ من اجل تلبية متطلبات الحياة اليومية، ومن أبرز منتوجات هذه الصناعة نجد السروج، الاحذية، الاحزمة، غلافات الوسادة، أغمدة السيوف، وتتميز تلمسان بمختلف السروج ومحافظ النقود ومنتجات اخرى تتسم برسوم واشكال أندلسية رائعة، بالإضافة الى منتوجات الجنوب الكبير الأصيلة مثل: حقائب السفر(العرق)، السديرة (حافظة السروج)، حافظة النقود ....الخ.

3-3- صناعة الحلي:

تعود صناعة الحلي والجواهر التقليدية في الجزائر الى عصر ما قبل التاريخ مرورا بالحضارات الرومانية والقرطاجية والبيزنطية الى الحضارة الإسلامية التي طغت أشكالها وزخارفها على صناعة الحلي، وتعبّر الجواهر التقليدية على جمال منقطع النظير بأشكالها الجميلة وألوانها الزاهية والباهية ومعدنها الثمين من الفضة والذهب، ومن أشهر المدن الجزائرية المعروفة بصناعة الحلي نجد قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري، العاصمة وتلمسان بالإضافة الى بلاد القبائل وخصوصا منطقة "بني يني" المشهورة بصناعة الحلي، ومن أهم الحلي القبائلية نجد الخلخال (معصميات) وعدة حلي اخرى تستعملها المرأة القبائلية لأغراض التجميل والزينة، كما نجد المنطقة الشاوية أيضا وحليها وجواهرها العريقة مثل: السخاب (قلادة مزينة باللؤلؤ المرجاني)، أو مقياس(سوار)، كما يبدع الجنوب الجزائري بلمسته الفنية

فيجود على نساء التوارق بالقلائد والأساور والأقراط، كما لا ننس ى المسيلة التي يشابه حليها الحلي الشاوي مع بعض الاختلافات البسيطة (عبد الرحيم، 2010، الصفحات 111-114).

3-4- صناعة الزر ابي والنسيج:

يوضح تنوعها الاحتكاك الثقافي الذي ميز تاريخ هذا الفن البربري العربي والاسلامي والافريقي وحتى الشرقي ومن ابرزها: زربية المصاعد (المسيلة وبرج بوعريريج) زربية فرقور (سطيف وبجاية)، زربية بني يزقن (غرداية)...الخ.

3-5-صناعة الآلات الموسيقية:

هو فن لمنح الخشب سحر رنان ذو صوت، ويتم تداوله في الجزائر العاصمة، البليدة، تلمسان، الاغواط ومن منتجاته: الناي العود القانون...الخ.

3-6- صناعة الجلد:

ان صناعة الجلد ترتبط بجغرافية المواشي، حيث نضمن هذه الصناعة انتاج السروج والاحذية والاحزمة والاواني واغمدة السيوف ويعرف جلد تلمسان المتأثر بقوة الثقافة الاندلسية برسوماته واشكاله مثل: السروج وحافظة النقود ...الخ.

3-7- فن الطرز:

يشهد فن الطرز الحضري والدقيق عن براعة متجددة بواسطة مختلف المساهمات الثقافية كما يصف الماضي البعيد من خلال النسيج الذي يجمع بين الاناقة والابداع وينتشر في الجزائر العاصمة، القليعة، والبليدة، مليانة ومن ابرز انواع الطرز المعروفة هي "القفطان " "الكراكو"،" الفتلة "...الخ (مريم و الشريف ، 2017، الصفحات 09-10).

كانت هذه نظرة حول اهم الحرف والصناعات التقليدية المعتمدة بالجزائر والملاحظ هو تنوعها واختلاف تواجدها فكل منطقة تتميز عن غيرها بحرفة معينة، وهذا الاختلاف صنع رسمة جمالية ولوحة فنية جعل من الجزائر تكتسي طابعا حضاريا وثقافيا متنوعا تنوع تلك الحرف والصناعات بها، ولعل حرفة النحاس احد اهم الصناعات التي تعتز بها الجزائر عموما وقسنطينة بالأخص، وفيما يلي سنقف على واقع الحرفة بالمدينة من خلال التعريف بالمدينة ووجود الحرفة بها، ثم نتطرق الى طريقة صنع الانية النحاسية، ومن تم معرفة مشاكل الحرفيين واهم الحلول للنهوض بالحرفة وذلك لمواجهة التحديات والمحافظة على الموروث الثقافي القسنطيني.

4/- حرفة النحاس في قسنطينة:

4-1-التعريف بقسنطينة:

سميت "سيرتا "أو "قيرتا" في العهد النوميدي، واسمها الحالي «قسنطينة»، وقد حصلت على هذا الاسم في عام 313 ميلادي نسبة إلى الإمبراطور قسطنطين الأول، واتخذت اسمه وصارت تسمى "القسطنطينية " آو "قسنطينة (صبرينة، 2011، صفحة 16) وسميت ايضا "بعاصمة الشرق الجزائري "و "مدينة الجسور المعلقة " لأنها تحتوي على ثمانية جسور معلقة، وهي مبنية على صخرة من الكلس القاسي (صبرينة، 2011، صفحة 14). ولقبت بـ «مدينة الصخر العتيق» وتعتبر من أقدم المدن في العالم.

4-2-تعريف النحاس:

النحاس هو عنصر فلز ي رخوي ذو لون احمر مائل للسمرة قابل للطرق والسحب والتشكيل وهو من اقدم الفلزات التي عرفها الانسان (زينب ، 1999، صفحة 251)

و"يعتبر النحاس* من أقدم المعادن القابلة للصدأ **التي عرفها الإنسان، والنحاس عنصر معدني ذو لون احمر وردي، ولهذا يعرف النحاس الخام بالنحاس الاحمر (فطيمة و فاطمة الزهراء ، 2022، صفحة 191). فقد عرف الانسان معدن النحاس منذ اقدم العصور، واستخدمه في صنع الاته واشكال زينته، وكان له دور كبير في تطور حضارة الانسان من الحضارة الحجرية الى عصر المعادن، وتم اكتشافه قبل 10 الاف سنة قبل الميلاد، وقد استخدمه العرب لصناعة الانابيب لتوصيل مياه الشرب ومياه الصرف (عبد الزهرة ، 2013، صفحة 24) ولقد كان النحاس الاصفر اكثر استعمالا في صناعة مختلف الادوات والحلي، واستخدم ايضا في ضرب بعض النقود، وكان الحصول على معدن النحاس بنوعيه الاصفر والاحمر، يتم بتعدينه واستخلاصه من اماكن وجوده. (عائشة، 2016، الصفحات 352- 339).

3-4 وجود الحرفة بقسنطينة:

يعود وجود الحرفيين بالجزائر للعصور الوسطى، فقد كان يغلب على صناعاتهم الطابع الاستعمالي اليومي، تقتصر على ما يحتاجه الانسان للطهي والصيد كالخناجر وبعض اواني للأكل، لكن ومع تواجد الاتراك في الجزائر وقسنطينة على وجه التحديد اعطوا للحرفة وجها مغايرا واكسبوها نظاما خاص بحرفيها جعلها اكثر تنظيما وتطورا من ذي قبل، فكان الحرفي يعتمد في حل مشكلاته على الموظف السامي المقرب للداي الا وهو (الامين) (صبرينة، 2011، صفحة 69)

ولقد عمدت السلطات التركية الى تخصيص اماكن لهؤلاء الحرفيين قصد ممارستهم لنشاطهم الحرفي بأكثر اريحية، ففي قسنطينة مثلا يمارس الحرفيون صناعة النحاسة في حي باردو والمعروف بزنقة النحاسين وسط المدينة، اذ يحتوي الحي على جملة من الورشات والدكاكين فمنها ما هو مخصص لبيع المصنوعات النحاسية، ومنها ما خصص للتصليح كتصليح ايادي الاباريق والسينيات، واخرى خصصت لتشبيب الاواني النحاسية القديمة واعادتها لسابق عهدها، ومن اقدم الورشات المتواجدة بقسنطينة ورشة" دريس امين خوجة " فهي تعود الى 1827م، وتقع ورشته في وسط المدينة بشارع رقم 41 حي صلاحي طاهر المعروف "بسيدي بوعنابة" وبالضبط في السويقة، ولايزال محافظا على ادوات واساليب النقش والزخرفة بالطرق التقليدية التي هي من اساسيات الحرفة (خولة، 2019، صفحة 153) .

فصناعة النحاس بمدينة الصخر العتيق تمتاز بأجود المنتوجات والتحف النحاسية على اختلاف انواعها واشكالها ونقوشها ورسوماتها من اواني وابواريق وسينيات وغيرها، اذ كانت كل تحفة منها تحاكي حقبة من الزمن، هذا ما جعلها تكتسي قيمة ومكانة سواء من الحرفي او من الزبون او السائح الذي يحملها للذكرى، فالقسنطينيون لا يرون في النحاس مصدرا لعيشهم وقوتا لأولادهم بل تعدت العلاقة بينهم الى كونه رابط ثقافي وحضاري يكتسي الطابع الجمالي والحس الفني، فحرفيو النحاس في قسنطينة يمتلكون خبرات ومعارف متعددة عن صناعة النحاس وصقله والنقش عليه، حيث أبدعت انامليهم في صنع الكثير من الاواني والصحون والأطباق والصينيات ذات نقوش بمنتهى الدقة، منها ما اشتمل على آيات قرآنية، ورسومات حيوانية واخرى ذات نقوش نباتية وتختلف صناعة هذه المنتوجات من طلب الى اخر، فلكل منتوج طريقة للعمل عليه وجب على الحرفي اتباعها والتقيد بمقاييسها ليجعل من المصنوع النحاسي يكتسي قيمة جمالية فريدة ومتميزة. "ناهيك عن البعد الصحي الكامن في معدن النحاس مقارنة مع غيره من المعادن المستخدمة في صناعة اواني الطعام، الا ان الحال تغير في الاغلب، حيث اتجه الاهتمام بالنحاس الى اقتناء بعض القطع التذكارية وزينة البيت" (الصناعة التقليدية في الجزائر، صناعة النحاس، 2011).

وبعد التعرف على الحرفة وصناعة النحاس في قسنطينة سوف نشهد كيفية صنع الانية النحاسية.

4-4/ طريقة تشكيل الانية النحاسية:

يقوم الحرفي النحاسي بتشكيل الانية بداية بالنقش ثم بعد ذلك باستعمال بعض الادوات منها المطارق والازاميل الحديدية التي تختلف باختلاف المواضيع الزخرفية المراد تشكيلها وباختلاف الاواني المراد عملها، ومن هذا المنطلق تعددت الطرق الصناعية والاساليب الزخرفية، وتعددت الادوات المستعملة في لهذه الاغراض، كطريقة السحب والطرق الى جانب طريقة الصب في القوالب، اما زخرفتها فتقوم على الطرق وعلى الصهر في القوالب، كذلك تتم بالحز والتثقيب والتخريم والتكفيت والترصيع بالمينا او الاحجار الكريمة (عبد العزيز ، 1987، صفحة 148).

5- واقع الحرفة في مدينة قسنطينة:

كانت حرفة صناعة النحاس ولا تزال في قسنطينة الرابط الاول والاساسي بين اهل المدينة، فلا يكاد يخلوا بيت قسنطيني من المنتوج النحاسي أيا كان شكله او طريقة استعماله فقديما كان احد اهم الاشياء التي تحضرها العروس معها ضمن جهازها فهو تعبير عن الثراء والاصالة وان تلك العائلة على قدر ومكانة وكل من يخلو جهازها منه فكانها لم تحضر شيئا معها وسنذكر بعض المصنوعات النحاسية في جهاز العروس القسنطينية قديما كالقصعة و الكيروانة والسينية والمحبس والطاسة واواني الحمام وغيرها، فعلى غرار جهاز العروس تقدم المصنوعات النحاسية كهدايا في المناسبات العائلية كالزواج

مثلا، والاحتفالات الدينية كالمولد النبوي الشريف حيث يقتنون تحف نحاسية على شكل هلال تحمل تهاني بالمناسبة الشريفة، او فوانيس ملونة يحملها الاطفال في أيديهم، كما تستخدم للزينة فكانت توضح المحابس فوق الخزانات والسينيات في زوايا البيت لتضفي على البيت لوحة جمالية مميزة، ونجد المطبخ القسنطيني لا يخلو من أنية نحاسية فنجد حيث تقتني النسوة أباريق الشاي، وغلايات القهوة واعتمد الحرفيون القسنطينيون في ذلك على جملة من الرسومات والنقوشات تمازجت بين الحيوانية كفرخ الطاووس، الحمامة، واخرى نباتية كالزهرة والنخيل، واخرى أدمية كاليد البشرية التي تقي من العين لدى اعتقاد الكثير من الزبائن، بالإضافة الى الآيات القرآنية، فكان اللونين الغالبين قديما على التحف النحاسية هوما الاحمر والاصفر، ومع مرور الوقت والتقدم الحاصل استطاع الحرفيون وبمزج مواد اخرى صنع منتوجات نحاسية ذات اللون الابيض، اكتست من خلالها التحف جمالية وروعة ابداعية زادت من اقبال المواطنين والسياح عليها.

ففي القديم كان الحرفي يعتمد نقوش ورسومات محددة ولكن اليوم الزبون لديه كامل الحرية في اختيار النقشة والرسومات التي ستوضع داخل طلبه فمنهم من يكتب صور قرآنية قصيرة كآية الكرسي والمعوذتين، ومنهم من يرسم جسر قسنطينة كتذكار وغيرها من طلبات الزبائن، فالحرفي يعمل إرضاءا لهم وحفاظا على الموروث الثقافي، لكن ورغم جمالية المنتوج النحاسي بلونه الابيض الا ان الزبون لم يتخلى عن كل ما هو قديم واصيل وكان دائم الطلب على اللونين الاحمر والاصفر خاصة.

فالنحاس اليوم اصبح موضة جديدة في البيوت القسنطينية لا موروثا وجب الحفاظ عليه فحسب حيث تتفاخر العائلات وتتباهى فيما بينها بأغلى وأجود المصنوعات النحاسية، فنجد المرأة القسنطينية تحضر سينية المناسبات خاصة عيد الفطر بمختلف المصنوعات من سكرية ومرش وحاملة مناديل وملاعق الى حامل اطباق خاص بالحلويات، كما يعتمد القسنطينيين في عملية التقطير على ما يسمى بالقطار (انية لتقطير الورد والزهر) ذات اللون الاحمر في حين قديما كان الورد يقطر في القطار ذي اللون الابيض، ونجد ايضا يستعملون البلاطو النحاسي مستطيل الشكل او دائري ذي اللون الاصفر كل هذا جعل من المنتوج النحاسي القسنطيني ينفرد بمكانة خاصة لدى سكان المدينة وحتى خارج اسوارها.

وفيما يلي بعض الصور لمنتوجات نحاسية قسنطينية الصنع على اختلاف اشكالها والوانها من اعداد الباحثة

ISSN: 2437-041X
E-ISSN:2588-2325

عن اليمين مهراس من النحاس الاصفر وعن اليسار قطار للزهر من النحاس الاحمر

عن اليمين سينية من النحاس الابيض وعن اليسار محبس من النحاس الابيض

لكن سرعان ما فقدت الحرفة بريقها جراء التطورات الراهنة وتخلي بعض الحرفيين عن صنعتهم فمنهم من فضل غلق محله ومنهم من توجه للتجارة نظرا لعدم تلبية الحرفة لمتطلباتهم ورغباتهم، كما ساهم عزوف الزبائن عن اقتناء المنتوج النحاسي الاصلي والتوجه للمنتوج المقلد رخيص الثمن، فحرفة صناعة النحاس بقسنطينة تعاني جملة من النقائص والمعوقات تحد من تقدمها وسيرها في تقديم الاضافة والحفاظ على هذا الموروث الثقافي والارث الحضاري للمدينة، وفيما يلي سنعرض اهم المعوقات التي تعاني منها الحرفة وقطاع الصناعات التقليدية واهم الحلول المقترحة للنهوض بها

1-5- معوقات حرفة النحاس في مدينة قسنطينة:

تعاني حرفة صناعة النحاس في قسنطينة جملة من العوامل المعوقات التي حالت بينها وبين الحرفيين على تقديم ما هو مرجو منهم وما هو مخطط من قبل الجهات الوصية نذكر منها:

1- ظروف العمل غير اللائقة اذ تمارس معظم نشاطات الصناعات التقليدية والحرف في محلات مهنية غير لائقة نظرا لقدمها أو عدم تهيئتها وكذا عدم توفرها على أدنى شروط الأمن والنظافة ما يحول دون ممارسة نشاط منظم ومطور بالإضافة إلى هذا، يلجأ الحرفيون إلى استعمال تجهيزات وعتاد وأدوات غير مناسبة لنوعية النشاط أو مهترئة، ما يترتب عنه إساءة إلى نوعية المنتوج وعدم القدرة على احترام الآجال (مخطط عمل من أجل تنمية مستديمة للصناعة التقليدية آفاق 2010، 2003، صفحة 21)

كما أن صغر الورشات وقلة الحرفيين المستخدمين يجعل حجم المنتوج صغيرا جدا ويتخذ صفة الإنتاج المعاشي (اسيا، 2009، صفحة 110)

2- جل ورشات الحرفيين ومحلاتهم قديمة وذات بناءات هشة نتيجة تواجدها في اقدم حي بوسط المدينة حي باردو العتيق حيث لا يساعدها في الترويج لمنتوجها الحرفي التقليدي، حيث اخبرنا الحرفي مسعود 62 سنة نقاش وصاحب محل انه اقترح على ابنه ان يساعده في اعادة ترميم المحل الا ان الابن فاجئه بقوله " الحانوت قديم ومبقا يصلح لوالو غير بيعوا كاشما تربح فيه ".

3- غلاء اسعار المادة الاولية وندرتها في بعض الاحيان هذا ما اكده لنا "محمد ع 40 سنة نقاش في قوله "ان الزبون يعلم ان النحاس الاحمر هو الاصل لكن ما يمنعه من اقتنائه هو غلاء الاسعار سوآءا بالنسبة له كزبون ام لنا، فشراء المادة الاولية بأسعار باهظة يصعب علينا تثمين المنتوج المصنوع فيما بعد لأننا نراعي فيه الزبون، ولكن في الحالتين لا يمكن ان نفرض سلعتنا عليه او نرضى الخسارة لأنفسنا".

4- اشكالية تسويق المنتوج الحرفي وتصديره.

5- ضعف التكوين لدى الحرفيين وتدني المستوى الثقافي لديهم مما قد يجعله عائقا امام السياح الاجانب خاصة من ناحية اللغة حيث يؤكد الحرفي " الطاهر ج 68 سنة صاحب ورشة ابا عن جد حنا يا بنتي تعلمناها من جدودنا وبياتنا (الاباء) ما قريناها ما تعلمناها كنا نشوفو النقشة نحفظوها ونعاودو نرسموها وحدنا، ودرك الدنيا تقدمت بصح الشبيبة مهيش حابة تتعلم الصنعة ".

6- غياب الروح المقاولاتية لدى الحرفيين أي تكوين الحرفيين في اطار التسيير والتسويق خارج اطار التكوين المهني البسيط.

7- نقص في التحفيز المالي والجبائي من قبل السلطات الوصية.

8- ضعف القدرة التنافسية للمنتوجات الحرفية خاصة بوجود منتجات مقلدة وبسعر اقل مما هو عليه المنتوج المحلي.

9-قلة مشاركة الحرفيين في المعارض والصالونات في جميع الاصعدة سوآءا كانت محلية جهوية ام دولية وذلك للتكاليف الباهظة المترتب عن ذلك.

ورغم كل هذه العوائق كان لابد من ايجاد حلول والعمل على وضع مخطط يدخل ضمن اولويات الدولة السياسية والاقتصادية للنهوض بقطاع الحرف والصناعات التقليدية بالولاية، خاصة ان هذا الاخير ابان على مساهمة فعالة يمكنها ان تكون دعما كبيرا للدولة اقتصاديا خارج نطاق المحروقات وسنقدم فيما يلي بعض المقترحات والحلول.

2-5- اقتراحات وتوصيات للنهوض بحرفة النحاس في قسنطينة نلخصها فيما يلي:

1-التسهيلات الادارية التي تمكن الحرفيين من الحصول على محلات لممارسة نشاطاتهم الحرفية، وكذا الدعم المادي المتاح من خلال تقديم البنوك لقروض دون فوائد تكون عامل تحفيزي لهم

2- استحداث منصة رقمية لإحصاء الحرفيين وكل ما تعلق بالحرفة وقطاع الصناعات التقليدية.

3- على الصناعات التقليدية والحرف ان تواكب التطورات، محافظة في ذات الوقت على الاصالة والتقليد وما تحمله في جنباتها من ترسيخ للقيم المحفزة على الموروث الثقافي ونقله جيلا بعد جيل حيث يصرح لنا الحرفي" الهادي ق 59 سنة نقاش "لازم يا بنتي القطاع يدعم بالشباب لأنوا مع التكنولوجيا هادي وحنا كبار فلعمر منعرفولهاش وكيما قالو جدودنا لفاتوا وقتوا ما يطمع في وقت الناس ".

4- العمل على غرس الروح الثقافية وحب كل ما هو اصيل وتقليدي يجعل من الحرف والصناعات التقليدية ترى نورا مشعا في مستقبل ابناءها خاصة ابناء مراكز التكوين المهني ومراكز الشباب.

5-مساهمات السلطات في توفير المادة الاولية بأسعار مدروسة، كما تعمل على تسويق المنتوجات الحرفية سوآءا على مستوى الوطن او خارجه.

6- تقديم صورة مغايرة لقطاع الحرف والصناعات التقليدية من خلال العمل على برامج وحصص تلفزية واذاعية، وايضا معارض ومهرجانات يكون اساسها التعلق بكل ما يمثل تاريخنا واصالتنا وارثنا الثقافي والحضاري، حيث يؤكد الحرفي العمري م 49 سنة نقاش انهم كحرفيين لا ينكرون الدور البارز لوزارة الثقافة وكذا الصناعة في العمل على ترسيخ الموروث الثقافي سواء النحاس او غيره من الحرف والصناعات التقليدية.

7- العمل على تقنين أسعار المنتوجات الحرفية خاصة النحاسية منها بصفتها عنصر جدب هام للسائح المحلي والاجنبي. وبالرغم من الصعوبات والمعوقات التي تصاحب الحرفة وممتهنها الا ان حرفة النحاس بمدينة الصخر العتيق تبقى احد اهم وابرز مقومات قسنطينة الثقافية والحضارية التي جعلت منها مدينة سياحية يقصدها الاجانب والسواح بغرض التعرف على هذا الموروث المتجذر بها، حيث لا يكاد يخلوا بيت قسنطيني من تحف ومصنوعات نحاسية قديمة كانت ام جديدة فهذا التعلق من سكانها ليس وليد اليوم بل هو عشق للنحاس تتوارثه الاجيال وتتناقله فيما بينها جيلا بعد جيل.

خاتمة:

لقد عالجنا في ورقتنا البحثية الحرف والصناعات التقليدية حيث انصبت دراستنا على حرفة النحاس في مدينة قسنطينة وخرجنا باهم النتائج والتوصيات نلخصها فيما يلي :

-الاهمية الكبيرة التي تلعبها الحرف والصناعات التقليدية في المجال الاقتصادي للبلاد.

- يوفر قطاع الحرف مناصب شغل ويزيد من الدخل القومي.

-يساهم القطاع في التقليل من البطالة.

-القطاع بحاجة كبيرة للمزيد من الدعم والرعاية وذلك بإدراجه ضمن أولويات الدولة السياسية والاقتصادية

-يعتبر قطاع الحرف والصناعات التقليدية قطاعا قائما بذاته يساهم كغيره من القطاعات في بناء اقتصاد الدولة والدفع بعجلة النمو والتقدم، فالصناعات الحرفية التقليدية لم تبقى على سابق عهدها كموروث حضاري وارث ثقافي تتناقله الاجيال فيما بينها بل تخطته الى كونها كيانا قائما ومساهما في تطور النظام الاقتصادي ومن كل ما سبق نخلص ان سكان قسنطينة وحرفيها ورغم كل ما تتعرض له حرفة النحاس من عوائق ونقائص، الا انهم على نسق واحد يجمعهم في ذلك الحفاظ على ارث المدينة الثقافي والحضاري، ونقل الصورة الجمالية للحرفة من خلال ابداعات اناملهم وان مدينة الصخر العتيق لا تعترف الا بصوت مطارق حرفيها وهي تدق على الصفائح النحاسية

قائمة المراجع والمصادر

شنيني عبد الرحيم. (2010). دور التسويق السياحي في انعاش الصناعة التقليدية و الحرفية. كلية العلوم الاقتصادية و التسيير و العلوم التجارية، جامعة ابو بكر بلقايد، تلمسان.

علي ناجي الجنابي عبد الزهرة . (2013). صناعة النحاس. محاضرات قسم الجغرافيا. كلية التربية للعلوم الانسانية، العراق: جامعة بابل.

نواري خولة. (2019). الحرف والصناعات التقليدية في الجزائر. الاغواط : مركز البحث في العلوم الاسلامية والحضارة.

يحدد القواعد التي تحكم الصناعة التقليدية والحرف. (10 1, 1996). الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 03(06).

مخطط عمل من أجل تنمية مستديمة للصناعة التقليدية آفاق 2010. (2003). وزارة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والصناعة التقليدية.

portail.unesco.or. (03 12, 2007). تم الاسترداد من (on line ,http://www.Unesco, culture).

الصناعة التقليدية في الجزائر، صناعة النحاس. (2011).

التل سعيد. (بلا تاريخ). مناهج البحث العلمي و أساليب البحث العلمي. الأردن: جامعة عمان العربية للدراسات.

بن عبد العزيز فطيمة ، و قاسي فاطمة الزهراء . (1, 2022). صناعة النحاس التقليدي في الجزائر بين الحماية والإبداع. مجلة الاستراتيجية والتنمية، 12(1).

بوخضرة مريم، و بوفاس الشريف . (2017). استراتيجية ترقية الصناعات التقليدية لتحقيق التنمية المحلية في الجزائر , الواقع والتحديات . مداخلة مقدمة الى الملتقى الوطني الاول حول : السياحة والتنمية المستدامة في الجزائر. جامعة باجي مختار ، عنابة .

حنفي عائشة. (2016). خواص مادة النحاس وطرق علاجها. (جامعة الجزائر 2، المحرر) مجلة الدراسات الاثرية، 15(1).

سيد رمضان زينب . (1999). زخارف التحف المعدنية السلجوقية في ايران. جامعة طنطا: رسالة دكتوراه في الاثار الاسلامية.

سيمور سميث شارلوت . (2009). موسوعة علم الإنسان المفاهيم و المصطلحات الأنثروبولوجية. القاهرة : المركز القومي للترجمة.

شيبان اسيا. (2009). دور المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في التنمية الاقتصادية ,حالة الصناعات التقليدية والحرف في الجزائر. كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير قسم العلوم الاقتصادية: جامعة الجزائر.

صديقي شفيقة. (2002). دفع صادرات الزرابي التقليدية الجزائرية بتطبيق مقاربة التسويق الدولي. كلية العلوم الاقتصادية ، الجزائر.

طرشي صبرينة. (2011). صناعة النحاس في قسنطينة .دراسة فنية. جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية.

فوزي أيت سعيد. (2013). دور غرف الصناعة التقليدية والحرف في ترقية قطاع الصناعات التقليدية والحرف في الجزائر. مجلة دراسات في الاقتصاد والتجارة المالية، 2.

لعلاوي عمر، و خليفي حسام . (2021). واقع استراتيجية ترويج منتجات الصناعات التقليدية والحرف في الجزائر. مجلة معهد العلوم الاقتصادية، 24(01).

مرزوق عبد العزيز . (1987). الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني. مصر : الهيئة العامة المصرية للكتاب.